Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (5), Issue (3): 30 Sep 2019
P: 70 - 85

ISSN: 2518-5780

مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (5)، العدد (3): 30 سبتمبر 2019 م
ص: 70 - 85

The contradictory duals: The meaning and the term

Khaled Abd alazaiz Hassan

Ministry of Education || Zarqa || Hashemite Kingdom of Jordan

Abstract: The presence of existence on the binaries, was a feature of the main that left nothing but a problem for its features, and literature one of them; we find the diodes have intersected the joints, and formed its internal texture, and showed its purposes and themes in a striking way to the recipient who felt the beauty and beauty of rhythms and images express.

Classical Arabic is characterized among all other semiotic languages; It's characteristics ate unique to them which reflected the prestige and ability for expression. Amongst these Fixed characteristics in Arabic language there is the contradictory duals.

In this study, I tried to trace the terms "binary" and "contrast": language and language, and the approach between them to arrive at a single integration, forming another term " contradictory duals", and its role in the literary text on the one hand and on the receiver on the other hand.

Keywords: monetary term, the contradictory duals, binary, contrast.

الثّنائيّات الضّدّيّة: الماهيّة والمصطلح

خالد عبد العزيز حسان

وزارة التربية والتعليم || الزرقاء || المملكة الأردنية الهاشمية

الملخص: لقد بني الوجود على الثّنائيّات، فكانت سمة من سماته الرئيسة التي لم تترك شيئا إلا كانت مشكّلة لملامحه، والأدب إحداها؛ فنجد الثّنائيّات قد تخلّلت مفاصله، وشكّلت نسيجه الداخلي، وأظهرت أغراضه وموضوعاته بصورة ملفتة للمتلقي الذي أحسّ بجمالها، وجمال إيقاعاتها وصورها المعبّرة.

اتّسمت اللغة العربيّة الفصحى من بين سائر اللغات الساميّة الأخرى بخصائص تفرّدت بها، تجلّت فيها مكانتها وقدرتها على التّعبير، ومن بين هذه الخصائص الثّابتة في اللغة العربيّة "الثّنائيّات الضّدّيّة".

حاولت في هذه الدّراسة التّتبع لمصطلحيّ "الثّنائيّة" و"التّضاد": لغة واصطلاحا، والمقاربة بينهما ليصلا في اندماج واحد مكوّنا مصطلحا آخر "الثّنائيّات الضّدّيّة"، وبيان دوره في النّص الأدبي من جهة، وفي المتلقي من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النّقدي، الثّنائيّات الضّدّيّة، الثّنائيّة، التّضاد.

مقدمة الدراسة:

لا غرابة في أن للأدب أثرًا كبيرًا في الحياة الاجتماعية والسياسية لأي شعب من الشعوب فضلاً عن أثره في اللغة ونموها وتطورها وثباتها مما جعل العلماء والأدباء يولون اهتمامهم الكبير به، فيندر أن نجد عالمًا دينيًا أو لغويًا لم يعش الأدب ويتغنى به... فتنوع الأدب منذ بزوغه، وكثر التفنن في استعمالاته بعده أكثر الكلام تأثيرًا في النفس والمشاعر، بل أسرع الكلام انجذابًا وتقبلاً لما يحاكي المشاعر الإنسانية ويهزها ويناغيها إيجابًا أو سلبًا إذا صحّ التعبير....

ومن بدائع اللغة تغني الشعراء في إيجاد فنون أدبية ذات مغزى دلالي واضح في ما يسمى بالثنائيات الضدية التي اشتهرت كثيرًا في الأعمال الأدبية، ولا سيّما الشعر منها.

فالثنائيات الضدية لم تكن وليدة عصر وحسب، بل فكرة قديمة ترجع إلى بداية الخلق الأول، عندما خلق الله تعالى آدم (عليه السلام)، وخلق له من جنسه حواء تؤنس وحشته، وتبدّد وحدته، وأدخلهما الله تعالى الجنة ليبدآ رحلة الحياة معًا في ثنائية تكون أول ثنائية للجنس البشري، لكن الشيطان أزلهما فأخرجهما الله تعالى من الجنة.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1].

فمن منظور قرآني للثنائية يتأكد لنا أنها موجودة في التركيبية الآدمية، ففي الحياة توازن وتقابل. وهذا الاختلاف يقود إلى توجيه مسيرة الحياة نحو الأفضل.

وهكذا أخذت الثنائيات تؤثر في تنظيم سلوك ذلك الجنس البشري ورغباته؛ إذ يحكم بعضًا منها ذلك التقابل الثنائي... وهنا فالطبيعة البشرية بصورة عامة ثنائية التكوين تتألف من عنصرين، هما: عنصرا المادة والروح[2].

إن الحديث عن الثنائيات الضدية يعني حديثًا عن توازي الثنائيات. فالكون (الوجود) يمثل وحدة، وهذه الوحدة هي في النهاية تعددية ضمن الوحدة. وقد حاول الفلاسفة أن يفهموا الكون فقسموه إلى ذات (إنسان) وموضوع (كون)، ووضعوا بينهما برزخًا يفصل بين جوهر الأشياء الوجودية، فنظروا إلى أن كل طرف منفصل عن الآخر، ونجم عن هذا الفصل بين الأطراف وجود ثنائيات لاهوتية: الخير- الشر، الحق- الباطل، وضدية: الظلام- النور، واجتماعية: الظلم- المظلوم[3].

تعد الثنائيات الضدية عنصرًا فاعلاً في تكوين الخلق الشعري، وإنتاج الدلالة والخروج بالنص إلى مستوى لغة الأدب العالمية، وبالتالي، إن هذه الرؤية التوازنية المرنة تمنح الشاعر فرصة لاعتماد المنهج نفسه في التعامل مع الثنائيات في الشعر، كما تجعل النص حافلاً بالشعرية، التي يتخذها الناقد هدفًا لعمله في أثناء ولوجه عوالم النص؛ ليلتمس مفاتيحه دراسة وتحليلاً.

لم تكن الثنائيات الضدية من المصطلحات المتداولة في تراثنا العربي، ولا من المصطلحات الشائعة في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة عند العرب، فهو مصطلح نشأ في أحضان البنيوية، ولكنه إن لم يكن مصطلحًا مستعملاً في التراث، فقد كان مفهومه مألوفًا في إفهام العرب، ومطروقًا في كثير من دراساتهم؛ وذلك لارتباطه بمفهوم التضاد ومفاهيم مصطلحات أخرى كانت معروفة عند القدماء.

أسئلة الدّراسة.

تمثلت إشكالية الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

هل يشكل مصطلح "الثنائيات الضدية" جمالية فنية في الأدب؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية عدد من التساؤلات:

---

(1) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، آية 13.

(2) الراوي، مسارع حسن، **مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان**، ط2، دار الياقوت، عمّان، 2005م، ص106.

(3) الديوب، سمر، **الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم**، د. ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009م، ص4.

- ما الماهية التي يتكون منها مصطلحي "الثنائية" و "التضاد"؟
- ماذا تضفي الثنائية الضدية في النص الأدبي، وكيف يتم التعامل معها؟
- كيف نظر نقاد اللغة العربية القدامى في تطور مصطلح "الثنائيات الضدية"؟

فرضيّات الدّراسة.

تنطلق هذه الدراسة من جملة من الفرضيات، نذكر اثنتين منها:

1- تنطلق هذه الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن ظاهرة الثنائيات الضدية قد هيمنت على النفس البشرية منذ خليقتها الأولى، وقد ظهرت بشكل واضح ومباشر في النصوص الشعرية لهؤلاء الشعراء، وسيطرت على معالم هذه النصوص، فكان على الباحث الإمساك بطاقاتها الفعالة، وإشراقاتها المضيئة البينة والمبهمة في حدود الإمكانيات المتاحة في البحث والاستقصاء.

2- أنّ هذه الثنائيات الضدية ساعدت على جعل النص يبوح بأسراره النفسية والجمالية والفلسفية من خلال الشرح والتأويل، وكان التعامل مع النص على أساس وجود هذه الثنائيات الضدية على مستوى النص برمته أو على مستوى البيت الشعري الواحد، وانصهار طرفيها في بوتقة واحدة لا انفصال بينها في نسق هيكلي فني متكامل.

أهداف الدّراسة.

تسعى الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتي:

التعريف بما يشكله مصطلح "الثنائيات الضدية" من جمالية فنية في الأدب.

ويندرج تحت هذا الهدف الأهداف الفرعية الآتية:

- تعريف الماهية التي يتكون منها مصطلحي "الثنائية" و "التضاد" كظاهرة أدبية.
- توضيح ما تضفيه الثنائية الضدية في النص الأدبي، وكيف يتم التعامل معها.
- التعرف على نظرة نقاد اللغة العربية القدامى في تطور مصطلح "الثنائيات الضدية".

أهميّة الدّراسة والباعث عليها.

1- تنبع أهمية هذه الدراسة من أنها تعّد امتداداً لسلسلة من الدراسات الأدبية التي اتخذت من دواوين الشعراء المادة المراد دراستها وتحليلها، وفق المناهج الحديثة في عصرنا متخذة تلك الدراسات ظاهرة أدبية كالثنائيات الضدية بؤرة مركزية في الدراسة والتحليل واستخلاص النتائج.

2- إغفال الدارسين لمصطلحي "الثنائية" و "التضاد" من الناحية الأدبية، ومدى ارتباطهما بالظاهرة الأدبية "الثنائيات الضدية"؛ إذ تجدر الإشارة إلى أنه تعزز ميلي نحو العمل بهذا الجهد الأدبي، عندما تبين لي عدم وجود دراسة أدبية متخصصة تحمل العنوان المنشود.

حدود الدّراسة.

اتخذت هذه الدراسة من مصطلحي "الثنائية" و "التضاد" مادة تطبيقية؛ للوصول إلى الماهية والمصطلح الرئيس "الثنائيات الضدية". وتم الاعتماد في تخريج تلك المصطلحات من المعاجم الأدبية القديمة منها والحديثة.

الدّراسات الأدبيّة السّابقة.

1- بني عامر، عاصم "محمد أمين"، (2000)، **لغة التضاد في شعر أمل دنقل**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

عالج الباحث ظاهرة التضاد معالجة موضوعية باعتبارها سمة أسلوبية لافتة في شعر أمل دنقل، إذ قسم رسالته إلى ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتليها خلاصة وخاتمة. كما درس لغة التضاد في شعر أمل دنقل، بوصفها ظاهرة فكرية وفنية انبثقت عن رؤية خاصة تجسدت في شعره كله، إذ أفرد لأساليب التضاد المختلفة في هذه التجربة الشعرية فصلًا مستقلًا تنبع فيه أولًا منابع التضاد التي وجّهت رؤية الشاعر.

إلا أن الباحث في حديثه عن التضاد لم يتطرق إليه كماهيّة ومصطلح، إنما تطرق للتضاد لغة بصورة مجتزأة، ثم انتقل إلى علاقة مصطلح التضاد بالمصطلحات البلاغية الأخرى، ذاكرًا التعريفات الأدبية لها من أصحابها في النقد الأدبي القديم. ولم يتطرق في الفصل عن مصطلح الثنائية وعلاقته بالتضاد مطلقًا.

2- لبابيدي، سوسن (1995)، **ظاهرة التضاد في شعر أبي تمام**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، سوريا.

قسمت الباحثة رسالتها إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة، عالجت في المدخل التضاد بين الفكر والنفس والفن.

وفي حديثها عن التضاد ارتأت التركيز في المعاجم الفلسفية؛ للوصول إلى النواة الأولى في نشأة المتضادات. ولم تعط للمعاجم اللغوية اهتمامًا خاصًا في تفسير التضاد لغةً واصطلاحًا. ولم تطرق لمصطلح الثنائيات، وعلاقته بالتضاد سوى إشارات في نهاية المدخل.

وفي الصفحات الآتية محاولة لضبط مفهوم هذا المصطلح، وتأصيله في التراث العربي القديم، وبيان قيمته الأدبية والنقدية.

أولاً- الثنائيّة لغة:

الثنائية في الدلالة اللغوية تعود إلى الجذر الثلاثي ث ن ي، ومن معانيها: "ثَنَى يَثْني وَهُوَ تَكْريرُ الشَّيْءِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ جَعْلُهُ شَيْئَيْنِ مُتَوالِيَيْنِ أَوْ مُتَباينَيْنِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ ثَنَيْتُ الشَّيْءَ ثَنْيًا"[4]، وَقيلَ: إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ "ثَنَى الشَّيْءَ ثَنْيًا": رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ...، وَثَنَى الشَّيْءَ: عَطَفَهُ، وَثَناهُ: أَيْ كَفَّهُ... وَيُقالُ: ثَنَى صَدَرَهُ عَلَى كَذا: طَواهُ عَلَيْهِ وَسَتَرَهُ. وَفِي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿**أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ**﴾[5]... وَقَدْ تَثَنَّى وَانْثَنَى وَالاثْنانِ: ضِعْفُ الواحِدِ. وَثَنَّيْتُ الشَّيْءَ جَعَلْتُهُ اثْنَيْنِ...، وَأَثْناءُ الوِشاحِ: ما انْثَنَى مِنْهُ... وَالثَّنْيُ: الإِخْفاءُ"[6]، وَقيلَ: "جاءَ القَوْمُ مَثْنَى مَثْنَى، أَيْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثَنَّيْتُ الشَّيْءَ بِالتَّثْقيلِ جَعَلْتُهُ اثْنَيْنِ"[7]، وَقيلَ أَيْضًا: "إِنَّ الثَّنائِي مِنَ الأَشْياءِ ما كَانَ ذا شِقَّيْنِ"[8].

---

(4) ابن فارس، أحمد الرازي(ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، باب الثاء والنون وما يثلثهما.

(5) **سورة هود**، آية 5.

(6) ابن منظور، جمال الدين الأفريقي(ت701هـ)، **لسان العرب**، مادة: ثني. وانظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ)، **معجم القاموس المحيط (مرتب ترتيبًا ألفبائيًا)**، مادة: ثني. وانظر: أيضًا: أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مادة: ثني.

(7) الفيومي المقرئ، أحمد بن محمد (ت 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، مادة: ثني.

(8) صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربة والفرنسية والإنجليزية واللاتينية**، ط1، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص379.

ولفظ المثاني في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[9]، والمثاني: "هُوَ ما كَانَ أَقَلُّ مِنْ المِئَتَيْنِ، وَتُسَمّى فَاتِحَةُ الكِتابِ مَثانِي؛ لأَنَّها تُثَنَّى في كُلِّ رَكْعَةٍ"[10] [*]، وَقيلَ: يُسَمّى جَميعُ القُرْآنِ مَثانِي أَيْضًا؛ لأَنَّ الأَنْباءَ وَالقَصَصَ ثُنِّيَتْ فِيهِ، وَقِيلَ: لاقْتِرانِ آيَةِ الرَّحْمَةِ بِآيَةِ العَذابِ[11].

يتعين على ما سبق أن دلالات الثنائيات تفترض وجود طرفين، وتعتمد على التثنية، وهذان الاثنان قد يكونان متواليين، أو معطوفين، أو متزامنين.

ويدل المعنى اللغوي للثنائيات على ما هو أكثر من الواحد مهما كان عدد الثنائيات، فقد تتعدد الثنائيات، لكنها تظل تدور في فلك الرقم اثنين.

ويعني: "لفظ الثنائية ضعف العدد واحد، وقد يكون هذا الضعف شبيهه، أو نظيره، أو ضده، ويعني هذا الأمر أن العدد واحد يشكل مع واحد آخر ثنائية مهما كانت العلاقة بينهما، وفي هذه الحال يلازم كل طرف من طرفي الثنائية الآخر، ولا ينفك عنه، وإذا كان قابلاً للانفكاك عنه انتفت عنه صفة الثنائية"[12].

ثانيا- الثنائية اصطلاحًا:

إذا أريد البحث في إيجاد تفسير لماهية الثنائية فإنها لم تعد وليد الدراسات الحديثة بل أن خيوط نسجها منذ بدء الخليقة فـ "الإنسان في أصل نشأته - كما هو معلوم- احتاج إلى الطرف الآخر المتمثل في الأنثى ليسكن إليها وينتظم معها في تحقيق الإعمار والعبودية، وكذا كل شيء في الطبيعة والحياة في عملية استقصاء مستمر، ومبحث مضٍن للوصول إلى النصف المخالف، فعندما ينظر إلى الليل يستدعي النهار، وكذا الأرض والسماء، والنور والظلام، والليل والنهار، والشمس والقمر، والخير والشر"[13].

وقد ربطت الأديان السماوية بداية ظهور هذه الثنائيات مع بدء الخلق والتكوين، مع خلق السماء والأرض، وفَصْل الله بين النور والظلمة، ودعا النور نهارًا، والظلمة دعاها ليلاً، ثم قال: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة وكان كذلك، ودعا الله اليابسة أرضًا، ومجتمع المياه دعاه بحارًا"[14].

وهكذا لما كان الإنسان "هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية، وهما جوهران متباينان في الصفات، متضادان في الأحوال ومشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة... ومن أجل نفسه الروحانية صار طالبًا للدار الآخرة، متمنيًا للبلوغ إليها. وهكذا أكثر أمور الإنسان وتصرف أحواله مَثْنَوِيّة، متضادة كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة... والبخل والسخاء والجُبْن والشجاعة واللذة والألم... وهو متردد بين الصداقة

---

(9) **سورة الحجر**، آية 87.

(10) الجوهري، أبو نصر إسماعيل (ت 393هـ)، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة: ثني.

(*) رتب الباحث المصادر والمراجع في الخانة الواحدة للمعلومة- أينما وردت في الدراسة في الهوامش- ترتيبًا حسب الأقدمية في سنة الوفاة.

(11) **المصدر نفسه، مادة:** ثني. انظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة ثني.

(12) الديوب، سمر، **الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالته**، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، 2017م، ص15.

(13) العرضاوي، دانية محمد شريف، **مكونات الإبداع في الشعر العربي القديم (ابن طباطبا أنموذجًا)**، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011م، ص ص305- 306.

(14) حميد، فوزي محمد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس الغرب، 1999م،ص ص25- 26.

والعداوة والفقر والغنى... والحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر وما شاكلها من الأخلاق والأفعال والأقاويل المتضادة المتباينة التي تظهر من الإنسان الذي هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية"[15].

وفي القرآن الكريم ثنائيات ضدية في مواضع عدة، يمكن أن نشير إلى واحدة منها[16]:

ثنائيّة الخير والشّر:

يقول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[17].

وقال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[18].

وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[19].

وقال أيضًا: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾[20].

وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[21].

لقد وضّح سبحانه مفهوم الخير للإنسان الذي يستخلص أحيانًا مفهومات خاطئة للخير من غرائزه، فالله تعالى هو الذي يضع المقاييس الصحيحة للخير فيما يتعلق بشؤون الحياة، والدنيا شر مقابل خير الآخرة، وطاعة الله في الحياة الدنيا تعلي من قدره عند الله. فثمة جانب نوراني أخلاقي يحضّ عليه يمثل الخير، يقابله جانب مظلم يمثل الشر.

ويختلف المعنى الاصطلاحي -أيضًا- عن المعنى اللغوي من جهة عمقه، وأبعاده الفلسفية والعلمية، فقد عرفها المعجم الفلسفي بأنها: "الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين، والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها، أو ثنائية الواحد والمادة– من جهة ماهية مبدأ عدم التعيين– أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغورثيين[22]، أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون... الخ، والثنائية مرادفة للاثنينية، وهي كون الطبيعة ذات مبدأين، ويقابلها كون الطبيعة ذات مبدأ واحد، أو عدة مبادئ (الثنوية والاثنينية[23])[24].

---

(15) الصفاء، إخوان، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء**، ط1، ج2، (تحقيق: عارف تامر)، منشورات عويدات، بيروت، 1995م، ص ص258- 259.

(16) للاستزادة: انظر: الديوب، سمر، **الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته**، ص ص16- 18.

(17) **سورة البقرة**، آية 216.

(18) **سورة النساء**، آية 128.

(19) **سورة الأنعام**، آية 32.

(20) **سورة النحل**، آية 30.

(21) **سورة العاديات**، آية 8.

(22) أصحاب مذهب فلسفي سبقت ظهور أفلاطون، اعتمدت على الثنائية في الرؤية، وجوهر فكرهم: التطهر من كل ما هو حسي والبعد عن كل ما يمت إلى كل ما هو أرضي دنس، ومن مؤسسيها: فور فوريوس ويامليمنجوس. رافع، تامر، **أفلاطون مؤسس الفلسفة المثالية**، ط2، الدار العالمية للكتب، الجيزة، 2017م، ص ص22- 23.

(23) الثنوية: هو المعتقد الذي يقول بوجود أصلين أو مبدأين متناقضين وراء مظاهر الوجود، وصيرورة الزمن والتاريخ. وهذان المبدآن شيمتهما الصراع من أجل أن يلغي أحدهما الآخر، ولا يتفق هذا المفهوم مع مصطلح الثنائيات الضدية؛ إذ تكون العلاقة بين

ويعرفها وهبة: "مذهب يقول بمبدأين يديران العالم، أو يديره أحدهما، ويفسده الآخر، ويرجع هذا المذهب إلى أوائل عهد الفلسفة، قال (Anaxa Gauras)(أناكسا غوراس) [*]: إن المادة كانت مختلفة مضطربة فنظمها العقل؛ أي الإله العاقل. وقال أفلاطون مثل ذلك والمانيون ثنائيون[25]، لكن الفرق عندهم بين المبدأين ليس الفرق بين العقل وعدم العقل، وإنما هو الفرق بين الخير والشر"[26].

أي أن الثنائية علاقة تربط بين طرفين بينهما توافق أو تضاد، وغالبًا ما تكون العلاقة الضدية من أوضح العلاقات، "بل، ربّما كانت أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى. فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن...، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني...؛ لأن استحضار أحدهما في الذهن ليتتبع عادة استحضار الآخر"[27].

وهو مفهوم قريب إلى الدقة العلمية؛ إذ سرعان ما يتبادر في ذهن الإنسان، أو في فكره حينما يفكر في أي لفظة، أو أي صورة معينة تتجلى مباشرة في ذهنه حضور اللفظة المضادة، أو تتجلى أمامه صورة ذهنية مباشرة للضد الأول؛ لأن استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر.

وقد تكون العلاقة التقابلية الثنائية قائمة على التضاد بين مدلولات حديها، فإن حدي هذه العلاقة الضدية لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة.

وقد تكون العلاقة التقابلية الثنائية غير الضدية تقوم على التوافق والتكامل بين حديها، فالثنائية القائمة بين الرجل والمرأة، والثنائية القائمة بين الدال والمدلول. فالدال هو الصوت، والمدلول هو المعنى[28].

هنا يمكننا القول: إن مفهوم الثنائية في اللغة والأدب قائم على أساس التقابل، كقولنا: حق وباطل، أمل ويأس، خير وشر، بخل وكرم،....

أمّا ما يتعلق بعلاقة الثنائية بالجانب البلاغي فيتمحور في رأي عبد المطلب بقوله: "إن النمط الثنائي لم يأخذ شكلاً واحدًا في كل مجال من مجالات الدرس البلاغي، بل يبدو أنه كان هناك نوع من التوافق بينه وبين المجال الذي يرد فيه"[29]، وفي علم البديع: تكاد تكون الثنائية تفاعلاً خالصًا، واستثمارًا لإمكانات اللغة، وما تقدمه في هذا المجال من ألوان التوافق والتخالف[30].

الطرفين المتضادين علاقة تكامل. السواح، فراس، **الرحمن والشيطان: الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2000م، ص ص11- 12.

(24) صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، ج1، ص ص378- 379.

(*)ولد في مدينة أقلازوميا (آسيا الصغرى)، حوالي عام 500 قبل الميلاد، وانتقل إلى أثينا، حيث اتهم بالزندقة، وحكم عليه بالموت مما اضطره إلى مغادرتها. وقد انطلق من فكرة تحليل العقل والجزئيات للوصول إلى المبادئ في سياق رفضه لفكرة التغيير المطلق. طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة**، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2006م، ص ص106- 107.

(25) تكمن الثنائية المانوية في قلب تعاليم ماني، فالله أب العظمة، يعارضه أمير الظلام، والاثنان عنصران أوليان. وتقر المانوية: إن إله النور والخير خلق الإنسان من نور، فكان نورانيًا شفافًا، غير أن إله الظلمة والشر عمد إلى خلق جسم الإنسان من مادة كثيفة؛ لتكون سجنًا للروح الإنسانية النورانية. بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ط2، (ترجمة: إمام عبد الفتاح)، (مراجعة: عبدالغفار مكاوي)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص ص150- 151.

(26) وهبة، مراد، **المعجم الفلسفي**، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2011م، ص ص139- 140.

(27) أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010م، ص179.

(28) صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، ج1، ص ص284- 285.

(29) عبد المطلب، محمد، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي**، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص69.

(30) **المرجع نفسه**، ص70.

وتأتي الدراسات الفلسفية التي عزّزت الثنائية المتضادة فيها نظرية الخلود التي قال فيها الفيلسوف اليوناني(Socrates) (سقراط):[*] "إن كل شيء له ضد يتولد من ضده، فالعدل ينشأ من الجور، واليقظة من النوم، والنوم من اليقظة، ولا بد أن يتولد الموت من الحياة، والحياة من الموت، وإلا فقد تخالف الطبيعة قاعدتها المضطردة في جميع الأشياء. ويعزز ذلك بقوله: فهناك سبل جديدة تؤدي بنا إلى نتيجة بأن الحي يخرج من الميت كما يخرج الميت من الحي سواء بسواء"[31].

ويؤكد هذا المعنى(Plato) (أفلاطون)(**) في نظريته خلود النفس أيضًا؛ حيث يأتي بأربعة براهين، هي: البساطة والتذكر وتعاقب الأضداد ووجود المثل.

أما في تعاقب الأضداد، فيقول: "كما أن اللذة تعقب الألم واليقظة تعقب النوم، فلا بد أن الموت يعقب الحياة، والحياة تعقب الموت. فإن هذا الانتقال من ضد إلى ضد هو تغير وتعاقب للأضداد أحدهما يتبع الآخر دون سبق زمني لأحد على آخر، وهذا يدل على أن النفس لا تفنى، وأنها خالدة أبدية"[32].

وفي علم النفس وضع العالم (George Kelly)(جورج كيلي) مسلّمة أساسية لبناء شخصية الإنسان اشتق منها إحدى عشرة نتيجة، وهي "أن العمليات النفسية للشخص تمر بالسبل التي يتوقع بها حدوث الأحداث، ومن هذه المسلمة الثنائية"[33]، وعن طريق هذا الطرح الذي طرحه (كيلي) يعود ليؤكد أن نظام بناء الشخصية يتألف من "عدد محدد من البنى المتضادة، فكل بنية تقع في قطبين، فالصدق يقابله الكذب، والكرم يقابله البخل...، وكما أن التشابه بين الأحداث والأشخاص ضروري في عملية توقع الأحداث المستقبلية"[34].

وللعالم النفساني(Carl Yung) (كارل يونك) نظرية تقوم على مبدأ الثنائية، إذ يقول فيها: "كل رغبة أو شعور له مضاد (كالحياة والموت)، فإن التضاد يكون ليس في داخل الفرد، بل أيضًا بين الفرد والمجتمع"[35].

ونتيجة لوجود الثنائيات في ظواهر الطبيعة والمجتمع والفكر الإنساني عمومًا، فإن الحياة الإنسانية لا يمكن أن تفهم وتدرك وتفسر في معزل عن فكرة الأضداد والثنائيات. والجدير بالذكر أن الحياة في كثير من جوانبها، قائمة على أضداد وثنائيات[36]، تقود إلى حيوية الحياة وجوهرها وديمومتها وتوازنها، ويعدّ مصطلح الثنائية الضدية مصطلحًا جامعًا يعتمد على ما يستعمل من التضاد أو يدخل في تكوينه؛ ولهذا أصبحت الثنائية "ظاهرة نقدية مثلما

(*)هو: سقراط بن سوفرونيسكوس، فيلسوف يوناني، ولد في أثينا حوالي عام 470 ق.م. ومن طلابه: أفلاطون، ويعد المصدر الرئيسي للفكر الغربي، إذ اشتهر بفلسفة الأخلاق والمعرفة، حُكم عليه بالإعدام بنبتة الشوكران السامة عام 399 ق.م، فقبل هذا الحكم بدلاً من القبول بالهرب إلى المنفى. شيخاني، سمير، **صانعو التاريخ**، ط2، ج1، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1991م، ص ص 256-258.

(31) التكريتي، ناجي، **الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام**، ط1، دار الأندلس، بغداد، 1979م، ص23.

(**)هو: إفلاطون واسمه الآخر أرسطوفليس، فيلسوف يوناني، يعتبر أعظم الفلاسفة الأقدمين، ولقب بأفلاطون سبب ضخامة جسمه، ويعد مؤسس الفلسفة المثالية، وكان أستاذاً لأرسطو. عاش 427 ق.م، وتوفي 347 ق.م، ومن أبرز نظرياته: نظرية المعرفة والمنطق. شيخاني، سمير، **صانعو التاريخ**، ج1، ص ص 69- 73.

(32) التكريتي، ناجي، **الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام**، ص42. وانظر: رافع، سامر، **أفلاطون مؤسس الفلسفة المثالية**، ص36، ص83، ص101.

(33) صالح، قاسم حسين، **الشخصية بين التنظير والقياس**، د. ط، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1997م، ص27.

(34) المرجع نفسه، ص29.

(35) المرجع نفسه، ص114.

(36) ويس، أحمد محمد، **ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي: بحث في المشاكلة والاختلاف**، ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2017م، المقدمة.

هي ظاهرة تكوينية مارست المعاينة داخل النص لتكتشف دلالات النص ومستوياته الإيقاعية المتشكلة عبر التضاد أو من التضاد... وهو أصل نقدي وبلاغي جديد أفرزته البحوث المعاصرة"(37).

وهكذا، فإن للثنائيات الضدية دورًا كبيرًا في التعبير وفي الإقناع؛ فمن وسائل الإقناع الحجة العقلية القائمة على الاستلال والمقارنة بين المتناقضين لتبين المفارقة الشاسعة بينهما، فتعمل النفس على الاتصاف بالإيجابي الحسن والنفور من السلبي القبيح، أو على الأقل تُظهر هذه المقارنة ميزة الشيئين.

فالجدل والحجاج والبرهان كلها تحتاج إلى التضاد، وإلى الربط والمقارنة بين المتناقضين. فالربط بين الأشياء المتنافرة يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية في المتلقي؛ لأن هذا الأخير يلمس هذه المفارقة وهذا التنافر ويعيشهما[38].

هذه الإشارة تؤدي إلى التأثير والإقناع وتحقيق الغاية المرجوّة. ومن ثم فالتضاد "يستغل أكثر ما يستغل في السياقات الهادفة إلى تعرية الحقائق وكشفها، والإبانة عن حسنات ومساوئ؛ وذلك لبعد الهوة بين النقيضين"[39].

ثالثا- التّضاد لغة:

ورد لفظ التضاد في لغة العرب؛ "فالضِّدُّ بِالكَسْرِ، وَالضَّديدُ: المِثْلُ والمُخالِفُ، ضِدٌّ، ويكونُ جَمْعًا، وَمِنْهُ: ﴿**وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**﴾ [40]، وَضَدَّهُ فِي الخُصومَةِ: غَلَبَهُ، وَعَنْهُ: صَرَفَهُ، وَمَنَعَهُ بِرِفْقٍ، وَالقِرْبَةُ: مَلأَهَا، وَأَضَدَّ: غَضِبَ. وَبَنُوضِدٍّ، بِالكَسْرِ: قَبيلَةٌ مِنْ عادٍ وضادَّهُ: خالَفَهُ. وَهُما مُتَضادَّانِ"[41].

وَالمُتَضادّانِ: هُما الشَّيْئانِ لا يَجُوزُ اجْتِماعَهُما في وَقْتٍ واحِدٍ، كَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ[42]. وَفِي لِسانِ العَرَبِ: "الضِدُّ كُلَّ شَيْءٍ ضادَّ شَيْئًا لِيَغْلِبَهُ، وَالسَّوادُ ضِدُّ البَياضِ، وَالمَوْتُ ضِدُّ الحَياةِ... وَضِدُّ الشَّيْءِ: خِلافُهُ، يُقالُ: ضادَّني فُلانٌ، إذا خَالَفَكَ، فَأَرَدَّتَ طولاً وَأَرادَ قَصْرًا، وَأَرَدَّتَ ظُلْمَةً وَأَرادَ نورًا، فَهُو ضِدُّكَ وَضِدُّ يَدُكَ، وَقَدْ يُقالُ: إذا خَالَفَكَ فَأَرَدَّتَ وَجْهًا تَذْهَبُ فِيهِ وَنازَعَكَ في ضَدِّهِ"[43]. أي ورود المعنى أو اللفظة – في السياق الشعري- ونقيضهما سلبًا وإيجابًا.

وَيُقالُ كَذَلِكَ: الضِدُّ، هُو: "النَّظيرُ وَالكُفْءُ وَالجَمْعُ (أَضْدادُ)...، وَالضِدُّ خِلافُهُ، وَ(ضادَّهُ) وَ(مُضادَّةً)، إِذْ بايَنَهُ مُخالَفَةً. وَالمُتَضادّانِ اللَّذانِ لا يَجْتَمِعانِ كَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ"[44]. وَفِي المُعْجَمِ الوَسيطِ: "ضادَّهُ: خالَفَهُ، وَكانَ لَهُ ضِدًّا... وَتَضادَّ الأَمْرانِ: كَانَ أَحَدُهُما ضِدَّ الآخَرِ. وَالضِدُّ: المُخالِفُ وَالمَنافي... وَالمُتَضادّانِ (في المَنْطِقِ): اللّذانِ لا يَجْتَمِعانِ، وَقَدْ يَرْتَفِعانِ، كَالأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ"[45].

وُجِد من خلال هذا التناول اللغوي للفظ التضاد في لغة العرب أنه يدل على عدة معان، منها: المثل والمخالف والغلبة والمنع والملء وغيرها من المعاني. وإنّ الذي ينطبق مع المفهوم الاصطلاحي من حيث الدلالة لفظ المخالفة من دون الألفاظ الأخرى.

---

(37) الصرايفي العبادي، أركان حسين مطير، **التضاد في البحث النقدي والبلاغي عند العرب**، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، بغداد، 2006م، ص264.

(38) قطب، محمد، **من جماليات التصوير في القرآن الكريم**، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م، ص ص 54- 55.

(39) بني عامر، عاصم "محمد أمين" حسن، **لغة التضاد في شعر أمل دنقل**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 2000م، ص 60.

(40) **سورة مريم**، آية 82.

(41) الفيروزآبادي، **معجم القاموس المحيط**، مادة: ضدد.

(42) ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، باب الضاد والدال وما يثلثهما.

(43) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ضدد.

(44) الفيومي المقرئ، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، مادة: ضدد.

(45) أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مادة: ضدد.

وقد اخْتُلِفَ في سبب نشوء هذه الظاهرة، فتباينت الآراء حول نشأتها، وردت نشوءها لأسباب منها:

هناك من ردّ الظاهرة إلى اختلاف اللهجات واللسان العربي[46]. وهو يكون أحد المعنيين المتضادين من العرب، والمعنى الثاني لحيّ آخر، سَمِع بعضهم من بعض، فأخذ هؤلاء عند هؤلاء. ومثال ذلك: "السدفة في لغة تميم: الظلمة، والسدفة في لغة قيس: الضوء"[47].

ومنهم من رأى أن منشؤها التفاؤل أو التشاؤم[48]. ومعنى ذلك أن الإنسان قد يعبر عن لفظة بدلالة لفظه مضادة لها على سبل التفاؤل، ويكثر مثل هذه الألفاظ المتعلقة بالموت أو المرض أو مثل: أن يكنى الأعمى بأبي البصير.

وهما من الحالات النفسية التي تسيطر أحيانًا على سلوك بعض البشر، فقد يتشاءم بذكر كلمة، وقد يتفاءل بذكر الأخرى، والتي تعكس ذلك كله؛ مما يفسر لنا بعض كلمات الأضداد مثل: قول ثعلب: "من الأضداد مفازة". مفازة: مفعلة من فوز الرجل إذا مات، ومفازة من الفوز على جنس التفاؤل السليم[49].

وقد يكون السبب التهكم والسخرية[50]، وذلك أن تستخدم للجاهل لفظة العاقل، أو يكون السبب أثر المجاز في نقل الكلمة من معناها إلى معنى مغاير تمامًا"[51].

هذه الأسباب وغيرها – وإن كانت تدل على اهتمام العرب بلغتهم من جهة، وعلى سعة وامتداد تلك اللغة من جهة ثانية- لم تلمس الاستعمال الحقيقي لهذه اللفظة، وتأثيرها على المعنى[52]، ولم تلامس هذه الأسباب الدوافع أو الدافع الحقيقي وراء استعمال التضاد كأسلوب في البناء اللغوي ككل.

رابعا- التضاد اصطلاحًا:

إن التضاد بالمفهوم الحديث يقابل مفهوم الطباق عند البلاغيين؛ إذ يندرج مفهوم الطباق في البلاغة العربية تحت علم البديع ضمن المحسنات المعنوية؛ وهو: "الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة"[53].

وقد أشار القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى هذا المفهوم، ومدى تداعياته وأثره في حياة الناس؛ ومن الأمثلة، قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**﴾[54].

ومنه الحديث النبوي الشريف: عن ابنِ عَبّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُما) قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَراغَكَ قَبْلَ شَغْلِكَ، وَحَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"[55].

---

(46) انظر: ابن الأنباري، أبو بكر محمد (ت 328هـ)، **الأضداد**، ط1، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهي)، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، ص1. وانظر أيضاً: السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ط1، ج1، القدس للنشر، القاهرة، 2009م، ص ص272- 273.

(47) عمر، أحمد مختار، **علم الدلالة**، ط4، منشورات عالم الكتب، القاهرة، 1992م، ص203.

(48) عبد التواب، رمضان، **فصول في فقه العربية**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص345.

(49) علي، محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى: الأنظمة الدلالية في العربية**، ط2، دار المدار الإعلامي، بيروت، 2007م، ص164.

(50) محمد، محمد سعيد، **في علم الدلالة**، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص152.

(51) ابن سيدة، أبو الحسن علي (ت 458هـ)، **المخصص**، ط1، ج4، (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1996م، ص258.

(52) الداية، فايز، **علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص9.

(53) وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص232.

(54) **سورة النجم**، آية: 44- 48.

تبدو علاقة الضدية واضحة في الألوان، فمجرد ذكر اللون الأسود مثلاً يستحضر إلى أذهاننا ذكر اللون الأبيض، وقد ظهر ذلك جليًا في تأملات كثير من الشعراء، فوصفوا الألوان وجمالها وتناسقها وبهاءها حتى برز منهم من قال[56]:

فَالوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مُبْيَضُّ وَالفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوِدُّ

ضِدّانِ لِما اسْتُجْمِعا حَسُنا وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ[57]

في هذين البيتين استطاع الشاعر أن يقابل بين بياض الوجه والصبح، وسواد الشعر والليل في أبهى صورة وأجمل منظر وأوضح مقارنة؛ لأن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في الصورة أكثر وضوحًا وبروزًا من الألوان المتقاربة، لهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة مثلاً؛ لأن الأشياء تتبين وتتضح وتظهر بأضدادها.

ورد لفظ التضاد عند القدماء والمحدثين، وعرفوه وفصلوا في جزئياته، وحدثت إشكالية بين مفهومي التضاد والطباق في المفهوم الاصطلاحي، والباحث لا يريد الخوض في الخلافات والتفصيلات الدقيقة لمعنى التضاد، وإنما سيعرض لأهمها؛ لتكون إضاءة للموضوع التطبيقي الذي بين أيدينا.

التضاد عند(Aristotle)(أرسطو) مقترنًا بالاختلاف وعلاقة الوسط بين المتضادين، فهي إما أن تكون موجودة أو معدومة أو محدودة بسلب الطرفين، فالشرير يختلف على الخيّر، وليس هناك علاقة وسط بينهما إلا بسلب الطرفين أن تقول: لا خيّر ولا شرير، وقد تكون علاقة وسط موجودة بينهما. فبين اللون الأبيض والأسود اللون الداكن والأصفر. وقد تنعدم علاقة الوسط بين المتضادين، فالعددان فرد وزوج متضادان، وليس بين هذين متوسط البتة[58]، ويدل هذا على قدم التنبه لهذه الظاهرة، والاعتناء بها، تعريفًا وتفسيرًا، كالذي أورده أرسطو في كتابه الخطابة"[59].

خامسا- آراء النقاد العرب القدامى:

تعود جذور التضاد عند النقاد العرب إلى تقسيم **سيبويه** (ت 180ه) في كتابه للألفاظ والمعاني، بقوله: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وجدت

---

(55) المنذري، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم (ت 656ه)، **الترغيب والترهيب**، د. ط، (اعتنى به: أبو صهيب الكرمي)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ت، كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل والمبادرة بالعمل، رقم الحديث 5040، ص694.

(56) الألوسي، محمود شكري (ت 342ه)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط5، ج2، (تحقيق: محمد بهجت الأثري)، منشورات أميدج، بيروت، 1994م، ص20.

(57) اختلف الأدباء في نسبة هذه القصيدة إلى قائلها، فالمنجد يرى: أن القصيدة معروفة عند علماء الشعر ورواته منذ القرن الثالث الهجري، ورجح قول ابن المبرد: أن القصيدة لا يعرف قائلها. ورغم أنه ذكر قول من نسبها إلى ذي الرمة، ومن نسبها إلى دوقلة المنبجي. التنوخي، علي بن المحسن (ت 447ه)، **القصيدة اليتيمة**، ط3، (تحقيق: صلاح الدين المنجد)، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 1983م، ص ص14- 15.

(58) طاليس، أرسطو (ت 322 ق.)، **منطق أرسطو**، ط1، ج1، (تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي)، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م، ص63.

(59) وهبة، مجدي، والمهندس كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ص233.

عليه من المَوْجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة"[60]. وأخذ الدارسون من بعده التقسيم الثالث، وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، ومن هؤلاء الدارسين: **قطرب (ت206هـ)**[*]، عندما قال: "أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدًا ما يكون متضادًا في الشيء وضده"[61].

وهذا ما أكده **الأصمعي (ت216هـ)** في وقوع الأضداد، وعدّ بعضها في مألوف القوانين اللغوية والموضوعات الاصطلاحية، فذكر الجَوْن (الأسود/ الأبيض)، والجَلَل (الشيء الصغير/ العظيم)،...، والإهماد (السرعة في السير/ الإقامة)[62].

وفي الدراسات اللغوية الأخرى نجد بأن مفهوم التضاد ارتبط بالجانب اللغوي، فهذا **السجستاني (ت248هـ)**[*] الذي يعد التضاد جنسًا من أجناس الكلام عند العرب، ويعرفه بقوله: "الضد في كلام العرب خلاف الشيء، كما يقال: الإيمان ضد الكفر، والعقل ضد الحمق"[63].

وأفرد **أبو العباس بن ثعلب (ت291هـ)** قسمًا خاصًا في كتابه: قواعد الشعر، وعنوانه: "مجاورة الأضداد"، وأراد به الطباق، وهو عنده: "ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده"[64]، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى**﴾[65].

ويستهل **ابن الأنباري (ت328هـ)** في كتاب "الأضداد" الرد على أهل البدع والزيغ بالعرب من إتيانهم اللفظة الواحدة أو الحرف على معنيين مختلفين، وأن ذلك كان منهم لنقصان وقلة حكمة وبلاغة[66]، فيقول: "كلام العرب يصحح بعضه بعضًا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والأخيار إلا معنى واحد"[67]. ويعرفه في موضع آخر: "هي الحروف التي يوقعها العرب على المعاني المتضادة منها مؤديًا عن معنيين مختلفين"[68].

أمّا **أبو الطيب اللغوي (ت351هـ)** يقول عن الأضداد: "الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدًا له. ألا ترى أن القوة والجهل

---

(60) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان، **كتاب سيبويه**، ط1، ج1، (علق عليه: إميل بديع يعقوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص24.

(*)هو أبو علي محمد بن المستنير البصري، أحد تلاميذ سيبويه، ولقبه "القطرب"، وهو ذكر الغيلان، كثير الحركة، وهو أول من وضع المثلث في اللغة العربية. ومن أبرز مؤلفاته: معاني القرآن الكريم، وكتاب الأزمنة، وكتاب الأصوات، وغيرها. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد(ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، د. ط، ج4، (تحقيق: إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، 1971م، ص ص312- 313.

(61) قطرب، أبو علي محمد بن المستنير، **كتاب الأضداد**، ط1، (تحقيق: حنا حداد)، دار العلوم، الرياض، 1984م، ص70.

(62) السيوطي، جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج1، ص274.

(*)هو أبو حاتم، سهل بن محمد الجشمي، مقرئ، نحوي، لغوي، فارسي. كان إمامًا في علوم الآداب، توفي بالبصرة. ومن أبرز مؤلفاته: كتاب إعراب القرآن، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والممدود، وغيرها، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد(ت748)، **سير أعلام النبلاء**، ط5، ج12، (تحقيق: محمد بن عيادي)، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م، ص ص269- 270.

(63) السجستاني، أبو حاتم سهل، **كتاب الأضداد**، ط1، (تحقيق: محمد عوده أبو جدي)، (راجعه: رمضان عبد التواب)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ص75.

(64) ثعلب، أحمد بن يحي، **قواعد الشعر**، ط2، (تحقيق وتقديم: رمضان عبد التواب)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995م، ص62.

(65) **سورة الأعلى**، آية13.

(66) الأنباري، **الأضداد**، ص1.

(67) المصدر نفسه، ص2.

(68) المصدر نفسه، ص10.

مختلفان، وليس ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التضاد؛ إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين"[69].

ويقول **التهانوي (ت1191هـ)**[*] في تعريفه للتضاد: "يطلق على معانٍ منها التقابل والتنافي في الجملة، ومنها الطباق والجمع بين معنيين متضادين"[70].

وقد جمع محمد المنجد تلخيصًا لتلك الآراء السابقة عندما عرف الأضداد على أنه: "مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تتصرف إلى معنيين متضادين، وعليه فإن الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني من دون أن يتحد فيها اللفظ كالليل والنهار، والطول والقصر، والحياة والموت، لا تعدّ من الأضداد (عنده) بهذا المصطلح"[71].

فالتضاد أسلوب بلاغي قديم ورد مفهومه عند العرب بمعانٍ عدة، كما أن التضاد قريب من مصطلحات كثيرة وردت في تراثنا البلاغي، مثل: الخلاف، والأضداد، والمقابلة، والمطابقة، والتكافؤ، والتناقض، والتغاير... وغيرها من الفنون البلاغية التي حملت دلالة التضاد[72]

أما أبرز النتائج التي توصلت الدراسة إليها، فهي:

- تعد الثنائيات الضدية نوعا من العلاقة التلازمية بين المعاني؛ أي أنه يجمع بين الشيء وضده، مثل: الجمع بين الحزن والفرح، واليأس والأمل، والفقر والغنى...إلخ؛ إذ تهدف الثنائية في نهاية المطاف إلى التكامل.
- بيّن البحث القيمة الوظيفية التي تؤديها الثنائيات الضدية في بنية النصوص الأدبية، ولا سيّما المتحركة المولّدة، القادرة على التّشكل والتمدد؛ مما يجعلها أنساقا مستترة، ذات صفات دينامية وأبعاد دلالية.
- لم ترد الثنائيات الضدية في المنظور النقدي القديم المتمثل برؤى وأفكار النقاد القدامى مصطلحًا قائمًا بذاته؛ بل نجده في مفهوم التضاد مفهومًا متداخلاً مع المصطلحات البلاغية الأخرى، ولعل أهمها الخلاف والطباق والتكافؤ والمقابلة والتناقض وغيرها.

وربما لم يستطع هؤلاء النقاد القدامى الوصولَ إلى وظيفة التضاد في البيت الشعري وفاعليته.

- إن القدامى – النقاد والبلاغيين- اهتموا بالأضداد، ولكن من ناحية لغوية تهدف إلى استكناه أسبابها، وتفسيرها.

إلا أن اهتمامهم- على ما يبدو- لم يبحث دلالته في الاستعمال، ولا تأثيره على السياق، أو كما يقول أحد الباحثين لم يفيدوا من قيمتها الدلالية، وكيفية توظيفها في البحث والدراسة، وإنما وقفوا عندها ألفاظًا مجتزأة[73].

---

(69) أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد الحلبي، **كتاب الأضداد في كلام العرب**، د. ط، ج1، (تحقيق: عزّة حسن)، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1963م، ص1.

(*) هو محمد بن علي، ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي التهانوي، كاتب وعالم هندي، ومن أبرز مؤلفاته: سبق الغايات في نسق الآيات، وأحكام الأراضي. الزركلي، خير الدين بن محمد الدمشقي(1396هـ)، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط16، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، 2005م، ص295.

(70) التهانوي، محمد بن علي الفاروقي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ط1، ج1، (وضع حواشيه: أحمد حسن بسج)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص874.

(71) المنجد، محمد نور الدين، **التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق**، ط1، (تقديم: مسعود بوبو)، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1999م، ص26.

(72)للاستزادة انظر: الساحلي، منى علي سليمان، **التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام**، رسالة الإجازة العالية في الأدب العربي، جامعة قار يونس، بنغازي، 1993م، ص ص6- 171. وانظر أيضًا: بني عامر، عاصم "محمد أمين" حسن، **لغة التضاد في شعر أمل دنقل**، ص ص6- 25

ثَبْت بالمصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد (1987)، **الأضداد**، ط1، المكتبة العصرية: بيروت.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (1971)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، د. ط، دار الثقافة: بيروت.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي (1996)، **المخصص**، ط1، دار الآفاق الجديدة: بيروت.
- ابن فارس، أحمد أبو حسين الرازي (2003)، **معجم مقاييس اللغة**، ط3، اتحاد الكتاب العرب: دمشق.
- ابن منظور، جمال الدين الأفريقي (2003)، **لسان العرب**، د. ط، دار الحديث: القاهرة.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد الحلبي (1963)، **كتاب الأضداد في كلام العرب**، د. ط، المجمع العلمي العربي: دمشق.
- الألوسي، محمود شكري (1994)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط5، منشورات أميدج، بيروت.
- أنيس، إبراهيم (2010)، **في اللهجات العربية**، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة.
- أنيس، إبراهيم وآخرون (د.ت)، **المعجم الوسيط**، د. ط، المكتبة الإسلامية: القاهرة.
- بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب (1996)**، ط2، (ترجمة: إمام عبد الفتاح)، مكتبة مدبولي: القاهرة.
- بني عامر، عاصم "محمد أمين" حسن (2000)، **لغة التضاد في شعر أمل دنقل**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك: إربد.
- التكريتي، ناجي (1979)، **الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام**، ط1، دار الأندلس: بغداد.
- التنوخي، علي بن المحسن (1983)، **القصيدة اليتيمة**، ط3، دار الكتاب الجديدة: بيروت.
- التهانوي، محمد بن علي الفاروقي (1998)، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت.
- ثعلب، أحمد بن يحيى (1995)، **قواعد الشعر**، ط2، مكتبة الخانجي: القاهرة.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل (1999)، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت.
- حميد، فوزي محمد (1999)، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: طرابلس الغرب.
- الداية، فايز (1996)، **علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية**، ط2، دار الفكر: دمشق.
- الديوب، سمر (2009)، **الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم**، د. ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب: دمشق.
- الديوب، سمر (2017)، **الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالته**، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية: النجف.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (2003)، **سير أعلام النبلاء**، ط5، مكتبة الصفا: القاهرة.
- رافع، تامر (2017)، **أفلاطون مؤسس الفلسفة المثالية**، ط2، الدار العالمية للكتب: الجيزة.

---

(73) الداية، فايز، **علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق**، ص19.

- الراوي، مسارع حسن (2005)، **مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان**، ط2، دار الياقوت: عمّان.
- الزركلي، خير الدين بن محمد الدمشقي (2005)، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط16، دار العلم للملايين: بيروت.
- الساحلي، منى علي سليمان (1993)، **التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام**، رسالة الإجازة العالية في الأدب العربي، جامعة قار يونس: بنغازي.
- السجستاني، أبو حاتم سهل، **كتاب الأضداد**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، 1994م.
- السواح، فراس (2000)، **الرحمن والشيطان: الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية**، ط1، دار علاء الدين: دمشق.
- سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان (1999)، **كتاب سيبويه**، ط1، ج1، دار الكتب العلمية: بيروت.
- السيوطي، جلال الدين (2009)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ط1، القدس للنشر: القاهرة.
- شيخاني، سمير (1991)، **صانعو التاريخ**، ط2، مؤسسة عز الدين: بيروت.
- صالح، قاسم حسين (1997)، **الشخصية بين التنظير والقياس**، د. ط، مكتبة الجيل الجديد: صنعاء.
- الصرايفي العبادي، أركان حسين مطير (2006)، **التضاد في البحث النقدي والبلاغي عند العرب**، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد: بغداد.
- الصفاء، إخوان (1995)، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء**، ط1، منشورات عويدات: بيروت.
- صليبا، جميل (1982)، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربة والفرنسية والإنجليزية واللاتينية**، ط1، دار الكتاب اللبناني: بيروت.
- طاليس، أرسطو (1980)، **منطق أرسطو**، ط1، ج1، (تحقيق وتقديم: عبد الرحمن بدوي)، وكالة المطبوعات: الكويت.
- طرابيشي، جورج (2006)، **معجم الفلاسفة**، ط3، دار الطليعة: بيروت.
- عبد التواب، رمضان (1997)، **فصول في فقه العربية**، ط4، مكتبة الخانجي: القاهرة.
- عبد المطلب، محمد (1995)، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي**، ط2، دار المعارف: القاهرة.
- العرضاوي، دانية محمد شريف (2011)، **مكونات الإبداع في الشعر العربي القديم (ابن طباطبا أنموذجًا)**، ط1، عالم الكتب الحديث: إربد.
- علي، محمد محمد يونس (2007)، **المعنى وظلال المعنى: الأنظمة الدلالية في العربية**، ط2، دار المدار الإعلامي: بيروت.
- عمر، أحمد مختار (1992)، **علم الدلالة**، ط4، منشورات عالم الكتب: القاهرة.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (2010)، **معجم القاموس المحيط (مرتب ترتيبًا ألفبائيًا)**، ط5، دار المعرفة: بيروت.
- الفيومي المقرئ، أحمد بن محمد (1994)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ط2، دار المعارف: القاهرة.
- قطب، محمد (2006)، **من جماليات التصوير في القرآن الكريم**، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.
- قطرب، أبو علي محمد بن المستنير (1984)، **كتاب الأضداد**، ط1، دار العلوم: الرياض.
- لبابيدي، سوسن (1995)، **ظاهرة التضاد في شعر أبي تمام**، رسالة ماجستير، جامعة حلب، سوريا.

- محمد، محمد سعيد (2002)، **في علم الدلالة**، ط1، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة.
- المنجد، محمد نور الدين (1999)، **التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق**، ط1، دار الفكر المعاصر: دمشق.
- المنذري، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم (د. ت)، **الترغيب والترهيب**، د. ط، بيت الأفكار الدولية: الرياض.
- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل (1984)، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، مكتبة لبنان: بيروت.
- وهبة، مراد (2011)، **المعجم الفلسفي**، ط5، دار قباء الحديثة: القاهرة.
- ويس، أحمد محمد (2017)، **ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي: بحث في المشاكلة والاختلاف**، ط1، دار كنوز المعرفة: عمّان.

تم بحمد لله،،،